الأرْنَب الطّائِر

تأليف: محمد عرفه
رسم: نسرين خربوطلي

الأرْنَبُ الأبْيَضُ الصَّغير، يَسْتَيْقِظُ كُلَّ صَباحٍ، يَفْتَحُ لَهُ صاحِبُهُ بابَ القَفَصِ الَّذي يَنامُ فيه، حامِلًا بَيْنَ يَدَيْهِ طَعامَ الأرْنَبِ اللَّذيذَ مِنْ جَزَرٍ وخَسٍّ. فَيَتَناوَلُ الأرْنَبُ طَعامَهُ بِنَهَمٍ، ثُمَّ يَبْدَأُ التَّدْريبَ عَلى عَرْضٍ قَصيرٍ يَقومُ بِهِ داخِلَ السّيرْك.

كانَ العَرْضُ مُشَوِّقًا ومَحْبوبًا لَدى الأطْفالِ الَّذينَ يَأْتونَ مِنْ أجْلِ هَذا العَرْضِ بِعَيْنِه.

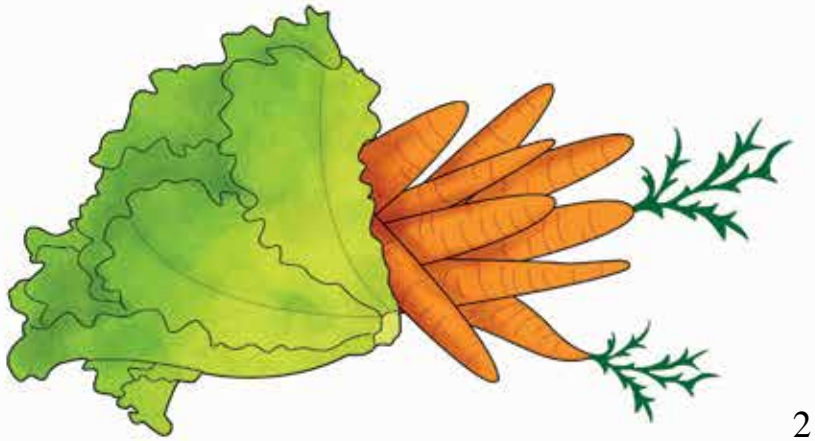

الأطْفالُ يُطْلِقونَ عَلى الأرْنَبِ الأبْيَضِ الصَّغيرِ اسْمَ «الأرْنَب الطّائِر»، ذَلِكَ لِأنَّ صاحِبَهُ يَضَعُهُ داخِلَ فُوَّهَةِ مِدْفَعٍ كَبيرٍ، ثُمَّ يُشْعِلُ فَتيلًا...

وفَجْأةً، يَنْطَلِقُ الأرْنَبُ الأبْيَضُ الصَّغيرُ كَقَذيفَةٍ بَيْضاءَ في الهَواء.

تَكْمُنُ رَوْعَةُ العَرْضِ في أنَّ الأرْنَبَ بَعْدَ طَيَرانِه، يَسْتَقِرُّ فَوْقَ مِنَصَّةٍ عالِيَةٍ في فَضاءِ السّيرْك. ثُمَّ تَحينُ اللَّحْظَةُ الَّتي يَنْتَظِرُها الأطْفالُ بِشَغَفٍ، عِنْدَما يَتْرُكُ «الأرْنَبُ الطّائِرُ» مَكانَهُ فَوْقَ المِنَصَّة.

وفي اللَّحْظَةِ الَّتي تَليها، تَنْفَتِحُ مِظَلَّةٌ صَغيرَةٌ كانَتْ قَدْ عُلِّقَتْ بِظَهْرِه، فَيَبْدو في هُبوطِهِ كَأَنَّهُ طَيّارٌ مُحْتَرِفٌ يَعْرِفُ ما يَفْعَلُه. ولَكَم أثارَ هَذا العَرْضُ شَغَفَ الكِبارِ قَبْلَ الصِّغار! نَظَرًا إلى مَهارَةِ «الأرْنَبِ الطّائِر»، الَّذي كانَ يُحِبُّ عَمَلَهُ كَثيرًا، ويَتَدَرَّبُ عَلَيْهِ أكْثَر.

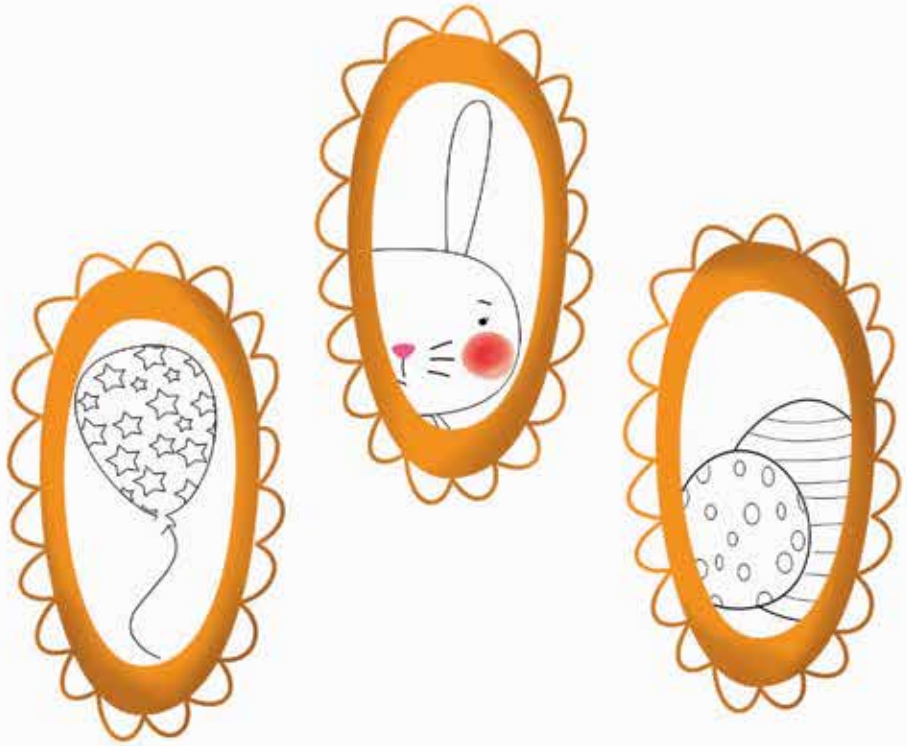

كانَ «الأرْنَبُ الطّائِرُ» قَدْ بَدَأَ العَمَلَ مَعَ صاحِبِهِ بَدَلًا مِنْ أُمِّهِ الَّتي كَبرَتْ عَلى هَذا العَمَلِ الخَطِرِ والدَّقيقِ في الوَقْتِ نَفْسِه.

ذاتَ لَيْلَةٍ، قَرَرَ «الأرْنَبُ الطّائِرُ» قَرارًا عَجيبًا، وأخْبَرَ أُمَّهُ العَجوزَ بِه، فَقالَتْ لَه: «لَكِنَّكَ يا صَغيري اعْتَدْتَ عَلى هَذا العَمَلِ وأجَدْتَه، ونَحْنُ وَرِثْنا هَذا العَمَلَ داخِلَ السّيرْكِ الكَبيرِ مُنْذُ أجْيالٍ عِدَّةٍ. وُلِدْتُ في هَذا السّيرْكِ ونَشَأْتُ وأنا أرى جَدّي يَقومُ بِهَذا العَرْض».

قالَ «الأرْنَبُ الطّائِرِ»: «لَكِنَّكِ يا أُمّي، مُنْذُ أنْ حَدَّثْتِني أنَّ هُناك، بَعيدًا خارِجَ السّيرْكِ الكَبير، غابَةً خَضْراءَ جَميلَةً، يَكْثُرُ فيها الجَزَرُ غَريبُ الشَّكْل، وفيها الحَشائِشُ الطَّرِيَّةُ وأنْواعٌ كَثيرَةٌ مِنَ الحَيَواناتِ الرّائِعَةِ والطُّيورِ المُغَرِّدَة. مُنْذُ ذَلِكَ الحينِ يا أُمّي، وأنا أشْتاقُ كَثيرًا إلى رُؤْيَةِ هَذِهِ الغابَةِ الخَضْراء».

لَمْ تَسْتَطِعِ الأُمُّ العَجوزُ إقْناعَ صَغيرِها بِالعَوْدَةِ عَنْ قَرارِهِ هَذا.

في اللَّيْلَةِ التّالِيَة، غادَرَ «الأرْنَبُ الطّائِرُ» السّيرْك، مِنْ دونِ أنْ يَعْلَمَ ما يَنْتَظِرُهُ في هَذا العالَمِ الكَبيرِ بِالنِّسْبَةِ إلَيْه.

فَبَعْدَما اسْتَطاعَ مُغادَرَةَ السّيرْكِ الكَبيرِ مِنْ دونِ أنْ يَراهُ أحَدٌ، رَأى كَلْبًا يَسيرُ عَلى ثَلاثِ أقْدامٍ فَقَط. فَتَعَجَّبَ لِذَلِكَ كَثيرًا، وفَكَّرَ أنَّ الكِلابَ خارِجَ السّيرْك، رُبَّما تَسيرُ عَلى ثَلاثِ أقْدامٍ فَقَط، ولَيْسَتْ كَكِلابِ السّيرْك.

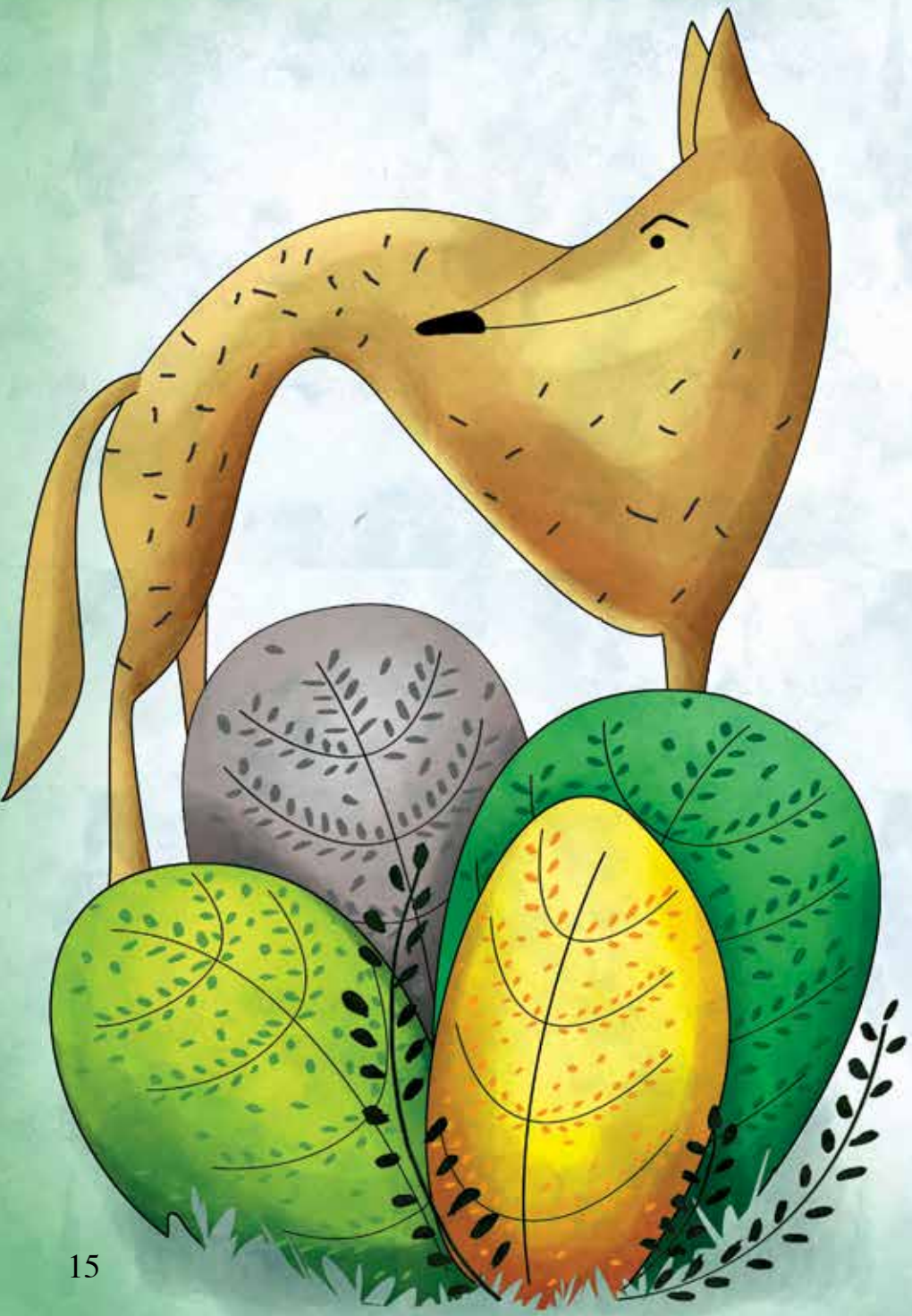

وبِما أَنَّهُ كانَ لا يَخْشى الكِلابَ داخِلَ السّيرْك، تَقَدَّمَ «الأرْنَبُ الطّائِر» مِنَ الكَلْبِ لِيَسْألَهُ عَنْ أَقْرَبِ طَريقٍ إلى الغابَةِ الخَضْراء. لَكِنَّ الكَلْبَ بَعْدَما شَمَّ رائِحَةَ الأرْنَبِ ورَآه، تَغَيَّرَ وَجْهَه، وكَشَّرَ عَنْ أَنْيابِهِ وسالَ لُعابُه، ثُمَّ هَجَمَ عَلى «الأرْنَبِ الطّائِر» .

وكانَتْ مُطارَدَةً رَهيبَةً، فَأخَذَ «الأرْنَبُ الطّائِرُ» يَرْكُضُ مُسْرِعًا خَوْفًا مِنَ الكَلْب. وكَمْ كانَ الحَظُّ حَليفًا لَه! فَلَوْ كانَ الكَلْبُ يَمْشي عَلى أرْبَعِ أقْدامٍ، لَكانَ الأرْنَبُ الأبْيَضُ الصَّغيرُ قابِعًا داخِلَ مَعِدَتِه.

كانَ «الأرْنَبُ الطّائِرُ» يَلْهَثُ مِنْ شِدَّةِ التَّعَب، وأيْقَنَ أنَّهُ نَجا مِنْ مَخالِبِ الكَلْبِ الغَريبِ ذي القَوائِمِ الثَّلاث. وقُرْبَ صُنْدوقٍ كَبيرٍ تَفوحُ مِنْهُ رائِحَةٌ نَتِنَةٌ لا تُطاق، وَقَفَ الأرْنَبُ يَلْتَقِطُ أنْفاسَه، عِنْدَما سَمِعَ صَوْتَ جَلَبَةٍ كَبيرَةٍ، يَأْتي مِنْ داخِلِ الصُّنْدوقِ الكَبير.

هَمَّ «الأرْنَبُ الطّائِرُ» بِالهَرب، مُعاوِدًا الكَرَّةَ مَرَّةً أُخْرى، عِنْدَما سَمِعَ صَوْتًا مَأْلوفًا لَدَيْه، فَقالَ مُحَدِّثًا نَفْسَه: «إنَّ ذَلِكَ الصَّوْتَ صَوْتُ قِطَّةٍ، رُبَّما تَعْرِفُ مَكانَ الغابَةِ الخَضْراء».

رَفَعَ صَوْتَهُ مُنادِيًا عَلَيْها، فَقَفَزَتْ مِنْ فَوْقِ الصُّنْدوقِ فَجْأةً ثَلاثُ قِطَطٍ ضَخْمَةٍ. ارْتَعَبَ الأرْنَبُ لِمَنْظَرِها وقَدِ الْتَمَعَتْ أعْيُنُهَا بِلَمْعَةٍ عَجيبَةٍ لَمْ يَرَها قَبْلًا في عُيونِ القِطَطِ الَّتي كانَ يَلْعَبُ مَعَها داخِلَ السّيرْكِ الكَبير.

حاوَلَ «الأرْنَبُ الطّائِرُ» أنْ يَتَماسَكَ قَليلًا وهُوَ يَسْألُ القِطَطَ عَنْ مَكانِ الغابَةِ الخَضْراء، لَكِنَّ بَريقَ أعْيُنِها اشْتَدَّ فَجْأةً، وتَقَوَّسَتْ ظُهورُها وبانَتْ أنْيابُها، فَعَلِمَ أنَّها عَلى وَشَكِ الهُجومِ عَلَيْه.

«يا لي مِنْ أحْمَق!»، هَكَذا نَعَتَ الأرْنَبُ نَفْسَه، وهُوَ يَتَراجَعُ إلى الخَلْف، حَتّى لامَسَ جَسَدُهُ الصُّنْدوقَ ذا الرّائِحَةِ الكَريهَة. وبِحَرَكَةٍ واحِدَةٍ، جاءَتْ وَثْبَةُ القِطَطِ الثَّلاث، لَكِنَّ الحَظَّ سانَدَ الأرْنَبَ مَرَّةً أُخْرى، إذْ دَخَلَ فَوْرًا إلى أسْفَلِ الصُّنْدوق، في وَقْتٍ لَمْ تَسْتَطِعِ القِطَطُ الثَّلاثُ أنْ تَدْخُلَ وَراءَه، نَظَرًا إلى ضيقِ المَسافَةِ بَيْنَ الصُّنْدوقِ والأرْض، بَلْ سَمَحَ فَقَطْ بِاحْتِواءِ جَسَدِ الأرْنَبِ الصَّغير. وهَكَذا، أصْبَحَ الأرْنَبُ مُحاصَرًا مِنَ القِطَطِ الثَّلاثِ الَّتي راحَتْ تَخْمِشُ الأرْضَ بِمَخالِبَها. غَيْرَ أنَّ الأرْنَبَ بَقِيَ بَعيدًا مِنْ مُتَناوَلِ تِلْكَ المَخالِب.

لَمْ يَكَدْ يَمُرُّ وَقْتٌ قَليلٌ، والأرْنَبُ مُحاصَرٌ، حَتّى سَمِعَ صَوْتًا بَشَرِيًّا زاعِقًا، يَأْتي مِنْ بَعيدٍ. لَمْ يَسْتَطِعِ الأرْنَبُ أنْ يُمَيِّزَ الصَّوْتَ وإنْ كانَ مَأْلوفًا لَدَيْه، ما جَعَلَ القِطَطَ تَهْرُب، فَوَجَدَها الأرْنَبُ فُرْصَةً لد تُفَوَّتُ لِلهُروب، فَتَسَلَّلَ مِنْ أسْفَلِ الصُّنْدوق، وقَلْبُهُ يَنْبُضُ بِعُنْفٍ.

ويا لَها مِنْ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ! فَلَقَدْ كانَ الشّارِعُ الَّذي هَرَبَ إلَيْهِ الأرْنَبُ مَسْدودًا، ما جَعَلَهُ يوقِنُ أنَّهُ هالِكٌ. إذْ كانَ صاحِبُ الصَّوْتِ البَشَرِيِّ يَتَقَدَّمُ مِنْهُ بِقامَتِهِ العالِيَةِ وقُبَّعَتِهِ الكَبيرَة، يَحْمِلُ بِيَدِهِ عَصًا غَليظَةً. وأدْرَكَ الأرْنَبُ أنَّ ضَرْبَةً واحِدَةً مِنْ هَذِهِ العَصا، تُنْهي رِحْلَتَهُ الَّتي لَمْ تَبْدَأْ بَعْد، ويَضيعُ مَعَها حُلْمُهُ في أنْ يَرى الغابَةَ الخَضْراء.

اقْتَرَبَ صاحِبُ الصَّوْتِ البَشَرِيِّ مِنَ الأرْنَب، وعَصاهُ تَرْتَفِعُ في الهَواء. وأغْمَضَ الأرْنَبُ عَيْنَيْهِ مُنْتَظِرًا نِهايَتَهُ الوَشيكَة.

«ها أنْتَ يا صَغيري، ما الَّذي أخْرَجَكَ مِنْ قَفَصِكَ في هَذا الوَقْت؟ خَشيتُ عَلَيْكَ كَثيرًا عِنْدَما لَمْ أجِدْكَ. ألا تَعْلَمْ أنَّ الشّارِعَ قُرْبَ السّيرْكِ فيهِ الكَثيرُ مِنَ الكِلابِ الضّالَّةِ والقِطَطِ المُتَشَرِّدَة؟ جَيِّدٌ أنَّني عَثَرْتُ عَلَيْكَ في اللَّحْظَةِ الأخيرَة، وإلّا لَكُنْتَ الآنَ طَعامًا لَها».

ويا لَها مِنْ فَرْحَةٍ لا تُصَدَّق! عِنْدَما حَمَلَهُ صاحِبُهُ بَيْنَ يَدَيْه، وضَمَّهُ إلى صَدْرِهِ الدّافِئ. فَظَلَّ الأرْنَبُ يَمْرُغُ رَأْسَهُ الصَّغيرَ بصَدْرِ صاحِبِه، شاكِرًا لَهُ مُساعَدَتَه، ومُقْتَنِعًا أنَّه لَمْ يُولَدْ إلّا لِيَضَعَهُ هَذا الرَّجُلُ في فُوَّهَةِ المِدْفَعِ الكَبير، لِيَراهُ الأطْفالُ الصِّغارُ وهُوَ يَسْقُطُ مِنَ السَّماء، مُعَلَّقًا بِمِظَلَّتِه، وعِنْدَما يَضْحَكونَ بِفَرَحٍ، يَشْعُرُ أنَّهُ حَقًّا في غابَتِهِ الخَضْراء، الَّتي لا تُعادِلُها أيُّ غابَةٍ خَضْراءَ أُخْرى.